بـارِكَ اللهُ عليــكَ

كانت لحارثة بن النعمان الأنصاري رضي الله عنه منازل قرب منزل النبي ﷺ بالمدينة ، وكان مسروراً بهذا الجوار ، حتىٰ قال: كان بيننا تنّور واحدٌ نخبز به نحن ورسول الله ﷺ ، وكان يسمع تلاوة النبي وصلاته ودعاءه في الليل.

وقد بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة وأبا رافع إلىٰ مكة ، وأعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين ، فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم بنتيه ، وسودة بنت زمعة زوجته ، وأم أيمن زوج زيد ، وابنها أسامة ، وخرج معهم عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر ، فلما قدموا عليه المدينة ، أنزلهم رسول الله ﷺ في بيت حارثة!.

وكان كلما تزوّج رسول الله ﷺ ، تحوّل له حارثة عن منزل بعد منزل ، حتىٰ صارت منازله إلىٰ رسول الله عليه الصلاة والسلام!.

وحين دخل عليّ بفاطمة رضي الله عنهما ، قال رسول الله ﷺ: «إني أريدُ أن أحوّلكِ إليّ».

فقالت فاطمـة: يا أبتـاه! لو كلمتَ حارثة أن يتحوّل لنا عن منزله؟.

فقال رسول الله ﷺ: «قد تحوّل لنا حارثة ، حتىٰ استحييتُ مما يتحوّل لنا عن منازله». فبلغ ذلك حارثة بن النعمان ، فجاء إلىٰ رسول الله ﷺ ، وقال: يا رسول الله! بلغني أنك تريد أن تُحوّل فاطمة إليك ، وهذه منازلي وهي أسْقَبُ[1] بيوت بني النجار بك ، وإنما أنا ومالي لله ورسوله ، والله يا رسول الله، للذي تأخذه مني أحبُّ إليّ من الذي تدع. فقال عليه الصلاة

---

(١) أي: أقرب.

والسلام: «صدقتَ ، بارك الله عليك» ثم حوّل فاطمة إلىٰ بيت حارثة[1].

أجل يا حارثة!

لقد صدقتَ فيما قلتَ ، وصدقتَ فيما فعلتَ! ولولا المحبة التي ملأت قلبك ما قلتَ للرسول ﷺ: إنما أنا ومالي لله ورسوله.

ولما قلت أيضاً: يا رسول الله! للذي تأخذه منّي أحبّ إليّ من الذي تدع!!

لمحمّـدٍ كـلّ القلـوب مُطيعـةٌ وحقـوق إيتـاء الـزكـاة شفيعـةٌ
وجبـال مكـة بـالإلٰـه منيعـةٌ الحرب فـي حـقٍّ لـديك شـريعـةٌ
ومن السّموم الناقعات دواءُ
النفـس مـن ثقـل الـذنـوب مـريضـةٌ وبجـوار أوزار العبـاد مهيضـةٌ
أرواح كـل المـؤمنيـن حظيظـةٌ والبـرّ عنـدك ذمّـةٌ وفـريضـةٌ
لا منّةٌ ممنونةٌ وجباءُ
الله كـرّم فـي السمـاء رسـولـه وعليـه بـالأقصـىٰ أتـمّ جميلـهُ
بفـريضـة التقـوىٰ أقـام دليلـه جـاءت فـوحّـدت الـزكـاة سبيلـهُ
حتى التقىٰ الكرماء والبخلاءُ
بعقيـدة التـوحيـد ينـزاح الضّنـىٰ والكـلّ فـي كنـف القـواريـر اهتنـىٰ
ديـن السّمـاحـة بـالصـلاح أعـزّنـا أنصفتَ أهل الفقر من أهل الغنىٰ
فالكلّ في حق الحياة سواءُ
بـك يـا حبيـب الله تـزدهـر الفـلا وبمـا أتيـتَ بـه مـن الله عـلا
لـك يـا محمـد داجي الهـمّ قـد انجلـىٰ يا من له الأخلاق ما تهوىٰ العُلا
منها وما يتعشّق الكبراءُ

* * *

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي: ١/ ١٨٧ ، المستدرك: ٣/ ٢٠٨.